حركة التجديد في الشعر العربي المعاصر من منظور الدراسات الاستشراقية وترجمته للغات الأوروبية

د. فتوح محمود
Mahmoud.fettouh@gmail.com

تاريخ الاستلام:2019/02/15 تاريخ القبول:2019/04/1

الملخص:

تعالج هذه الدراسة قضية من قضايا الأدب العربي المعاصر وأثرها في الدراسات الاستشراقية، وهي حركية الشعر الحر التي كثر حولها الكلام في العصر الحديث والمعاصر، وبخاصة من النقاد المهتمين بمقارنة الدراسات الغربية والعربية المعاصرة، وإن هذه المحاولة ستكشف لنا مدى علاقة التأثر والتأثير بينهما، وقد جاء العمل فيها موضحا أثر الشعر العربي المعاصر في ثقافة المستشرقين، وأثر شعراء الاستشراق في رواد الحركة التجديدية للشعر العربي المعاصر، ثم توضيح مسار ترجمة الشعر الحر إلى اللغات الأوربية، ضاربين في ذلك بنماذج من الشعر الحر المترجم إلى اللغات الأوروبية، مثل: شعر أدونيس الذي وضعناه في ميزان النقد، وشعر محمود درويش وصداه في الثقافة الأوربية، بغية تسجيل أثرهم وتأثرهم في الدراسات العربية والغربية لحركية التجديد في الشعر المعاصر.

الكلمات المفتاحية: الشعر الحر، التجديد، الشعر العربي، الاستشراق، الترجمة، اللغات الأوربية.

المنارة للاستشارات

Abstract: This study addresses a problem of contemporary Arab literature and its impact on Orientalist studies. The movement of free poetry has attracted the interest of many critics, especially those interested in comparing contemporary Western and Arabic studies. This essay will reveal to us the extent of the relationship of effect and influence between them, explaining the impact of contemporary Arabic poetry on the culture of the Orientalists, the influence of the poets of Orientalism on the pioneers of the movement of modern Arabic poetry, then explaining the way of translating free poetry into European languages, while giving examples of free poetry translated to different European languages, this is the case of the poetry of Adonis that we have put it in criticism, that also of Mahmoud Derouiche and his influence on European culture in order to record their impact and influence in Arab and Western studies of the dynamics of innovation in contemporary poetry

Key words: free poetry, renewal, Arabic poetry, orientalism, translation, European languages.

مقدمة:

لقد أولى المستشرقون اهتماما بالغا بالأدب العربي قديما وحديثا، باعتباره الفن المجيد المسجل لتاريخ العرب القديم، وبخاصة ما تعلق بالشعر

المنارة للاستشارات

الذي يعدّ دوانهم وديدنهم في تخليد أيامهم وتصوير حياتهم ومآثرهم في شتى جوانبها، فأقيمت حوله الأسواق الأدبية تتبارى في ساحتها جياد عقول الشعراء، فكان لسانهم أشد وقعا من السنان، ولذا فهو يمثل بالنسبة للمستشرقين بمثابة العصب الحساس في الثقافة العربية، وبالأخص ما جاء في بحوث الاستشراق الأوربي، وهذا ما يوضح مدى أثر الثقافة العربية في الآداب العالمية، وهو ما يبينه المستشرق: **روم لاندو** R. Landau فيما يقوله:"إذا كانت أعظم مآثر الحضارة العربية في الحقل الروحي قد أفرغت في اللغة، فإن أسمى منجزاتها بعد القرآن كان هو الشعر في نظر العرب، وإنما بدأ الشعر الكلاسيكي أو عصره الذهبي في القرن السادس بعد الميلاد، عندما كان الشعراء في معظم أرجاء شبه الجزيرة ينظمون بلغة شعرية واحدة، ويتبعون قواعد في بناء القصيدة متشابهة، وقد التزمت هذه القواعد التزاما صارما حتى أواخر العهد الأموي عندما وضعها دعاة الانشقاق في ظل الخلافة العباسية موضع الشك"[1].

وهذا ليس بغريب أن تدور معظم الدراسات الاستشراقية حول الشعر العربي منذ القدم، لأنه كان في مرحلة الذروة عندما نزل الوحي على النبي صل الله عليه وسلم، وأراد بعضهم أن يفندوا ما جاء فيه من براعة النظم وجمال التركيب، وآخرين أرادوا أن يضربوا على الوتر الحساس الذي يدفع بضاربيه إلى التغول من الفكر العربي الأصيل.

بهذا الشغف الاستشراقي والنزعة الغربية في حب معرفة آداب غيرهم والإطلاع على منجزاتهم العلمية وبالخصوص محاولة الوصول إلى معرفة الأدب العربي عامة والشعر بخاصة بمختلف أغراضه واتجاهاته وحركاته التجديدية، من أجل فرض فلسفته عليهم وتوجيهه إياهم بحسب غاياته

المنارة للاستشارات

وطموحاته، بغية كشف المؤثرات التي تركها هذا النوع من الفن الأدبي في الآداب الأوربية، وقد زرع هذا الأمر في نفس المستشرقين دوافع حب النشاط في معرفة جمال الإبداع الفني والأدبي المتمثل في روائع الشعر، لأنهم أدركوا أن "ما في الشرق من سحر الجمال، وعذابات الفن، مما دفعهم على الإقبال على الأدب: شعره ونثره، فراحوا يُوَشّون تعبيراتهم الأدبية بألوان العبير الشرقي العطر، ويشربون ما تجود به قرائحهم بما يقعون عليه من أزاهير الأدب الشرقي، الذي طيب ريحه شمس المشرق الدافئة"[2]، فأخذوا بحرارتها النافعة وجسدوها في أعمالهم الشعرية المتناثرة في ثنايا مؤلفاتهم ودواوينهم الأجنبية والمترجمة.

أولا: أثر الشعر العربي المعاصر في ثقافة المستشرقين:

إن اهتمام المستشرقين بالأدب العربي لم يكن وليد اللحظة الحديثة أو المعاصرة، بل كانت ضاربة جذورها في الأعماق منذ أزل قديم بداية مع نزول الوحي وفحول الشعراء العرب، لأن التاريخ سجل لنا مآثرهم وأعمالهم في معاهدهم العلمية وإنتاجاتهم الفكرية، وهو ما تثبته المطبوعات المنشورة عندهم والمخطوطات العربية المتواجدة في مكتباتهم، وقد وضح الغرب أنفسهم مدى تأثرهم بالأدب العربي بداية منذ عصر ازدهار الأمة الإسلامية إلى يومنا هذا، لأنه "كان تعبيرا حقيقيا عن هويتنا الحضارية، ولذلك اعترف أكثر من مستشرق، ومن هؤلاء مثلا **إيدموند بوزوورث** Edmund Boseworth رئيس قسم الدراسات الشرقية بجامعة مانشستر بتأثير الأدب العربي في الأديب الانجليزي صاحب كتاب: قصص **كانتري بيري**، وغيره مثل: **بوكاتشيو** في مجموعته المعروفة باسم **ديكاميرون**: الأيام العشرة De-Camerone"[3].

المنارة للاستشارات

وهذا التأثير لم يتوقف عند فترة محددة أو عمل أدبي واحد، بل اكتسح مختلف المجالات والفنون الأدبية إلى عصرنا الحالي، بهدف تعريف الغرب بشيء من الأدب العربي المعاصر وتوضيح للقارئ الأجنبي أبرز أعمالهم الأدبية النثرية منها والشعرية حتى تأخذ نصيبا مميزا في الساحة العالمية وتضع بصمة في تاريخ الحياة البشرية.

ويعدّ الشعر من بين الفنون الأدبية التي اهتم بها الاستشراق المعاصر، وقد تعرض **كراتشكوفسكي** بشيء من الإسهاب للشعر الذي عدّه من أكثر أنواع الأدب العربي انتشارا وأهمها خطرا وأشدها تأثيرا، لأن تاريخ الشعر عنده "في القرن التاسع عشر ليس إلا تاريخ تجديد شباب الشعر القديم بطرق معدلة كل التعديل، وقد شارك في بعثه كل من ناصف اليازجي وفرنسيس مراض ومحمود البارودي وإسماعيل صبري وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم وخليل مطران وعباس محمود العقاد ومصطفى الرافعي ومعروف الرصافي وغيرهم الذين دفعوا كل منهم على حدة بالشعر العربي إلى تقديمه من جديد"[4] في حلّة تخالف النظام المعروف عندهم.

وقد أجرت الباحثة منيرة مصباح الكثير من الحوارات والاشراقات مع العديد من المستشرقين والمستعربين الذين نقلوا الثقافة والتراث العربيين إلى لغات العالم العديدة، وكان منهم المستشرق اليوغسلافي الدكتور **رادا بوجوفيتش** بتاريخ 07 ماي 1990م، والتي كشفت من كلامه الكثير من الجوانب الايجابية عن الإستشراق بخلاف ما كان يبتغيه الكثير من المستشرقين، بحيث نجده يتحدث عن الشعر العربي المعاصر، وبخاصة الشعر الفلسطيني المعاصر، لأنه أصدر ديوانا لذلك، وخصص كتاب آخر عن الشاعر

المنارة للاستشارات

عبد الوهاب البياتي، ووضح أن تجربته في حقل الترجمة للشعر العربي المعاصر مقارنة بالشعر العالمي من حيث تجديده شكلا ومضمونا، أن هذه الحركة التجديدية في الشعر العربي استطاعت أن تفتح بابا للشعر العالمي وترفد الثقافة الإنسانية العالمية، وفي ذلك يقول:"أعتقد أن الشعر الحر قد فتح بابا جديدا للشعر العربي المعاصر، وبفضله انتشر الأدب العربي وأصبح مشهورا عالميا ومعروفا في الأوساط الثقافية الأوروبية، والشعر الحر يتلاءم مع روح العصر، ويناسب التذوق الأدبي للواقع الإنساني الحديث، لذلك نراه ينتقل بسهولة من الدول العربية إلى الدول الأوربية، والإحصائيات تؤكد أن كل ما نقل من شعر عربي إلى اللغات الأجنبية هو من الشعر الحر الذي يحمل دورا وخاصا في مرآة الشعر العربي، لذلك فإن على الجميع في الدول العربية أن يقفوا أمام هذه الحقيقة، وأن يتخذوا التدابير التي تمكنهم من السير نحو المستقبل"[5].

ثم تحدث عن ديوانه حول الشعر الفلسطيني والنماذج التي اختارها، ونجده قد دقق النظر فيها وقال عنها، هي "عبارة عن مختارات من الشعر الفلسطيني، منذ رائده إبراهيم طوقان وأبو سلمى حتى جيل الخمسينات والستينات، من أمثال مريد البرغوثي وغيره، وقد قمت بكتابة تقديم للشعر في نهاية الكتاب، بوصفه ظاهرة مقاومة، وذلك للتعريف ببيئة هذا الشعر ولشرح مضامينه وأسلوبه، كما نشرت إحدى الصحف اليوغسلافية ما كتبته في هذا الكتاب عن الشعر الفلسطيني من أجل أن يتعرف الشعب اليوغسلافي على القضايا الأدبية في الأرض المحتلة"[6]، ويستفيد المثقفون فيهم من هذه التجارب الشعرية المنظومة بقالب شعري جديد يحاكي الحركية التجديدية المعاصرة في نظم الشعر لدى البيئة العربية المعاصرة.

المنارة للاستشارات

فكل هذه الآراء تثبت أن الشعر العربي المعاصر قد ترك بصمة واضحة في الأدب الغربي وبخاصة في الشعر الغربي الأوربي لدى النخبة المثقفة منهم والحاملين للواء نظم الشعر من المستشرقين منذ القدم، وفي هذا يقول المستشرق أحمد سمايلوفيتش:"قد أثارت هذه الآراء اهتماما جديدا في أوربا... بحيث ذهبت بعض العقول المخلصة للعلم فحاولت الوصول إلى إثبات هذا التأثير بكل ما أوتيت من قوة وصبر أناة، ويرجع الفضل هذا الإثبات أولا إلى **أ.ر. نيكل** الذي قام بدراستين عام 1933م، وثانيا إلى: **ر.م. بيدال** الذي درس هذا التأثير بشيء من الإسهاب في كتابه الذي أصدره بعنوان:«الشعر العربي والشعر الأوربي»، وثالثا إلى **س. م. شينترن** في تناول هذا التأثير وكشف أشياء جديدة في ميدانه، ونشر دراسته:«الخرجات الاسبانية في الموشحات العربية»، ورابعا إلى **أ.ج.غوميس** الذي سار بهذه المعضلة المقدمة قدما بدراسته «24 خرجة باللاتينية الدارجة في موشحات عربية»، و: **ج.س.كولين، و. هو، هوميزباخ...**"[7]، وغيرها كثير من النماذج التي توضح إسهامات بعض الباحثين المستشرقين في نقل الدراسات والمعارف لأبرز الشعراء العرب وإبداعاتهم الفكرية في ميدان الشعر وقضاياه.

ثانيا: أثر شعر المستشرقين في رواد الحركة التجديدية للشعر العربي المعاصر:

لقد اعتمد شعراء الحركة التجديدية في الشعر العربي المعاصر على نصوص وأفكار شعراء الغرب، وقد أثبتت ذلك العديدة من الدراسات النقدية العربية الحديثة منها والمعاصرة وجمع من النقاد، على أن نهضة الشعر العربي المعاصر ارتبطت بشعرية الثقافة الغربية، لأن رواد هذه النهضة بحثوا

المنارة للاستشارات

عن مظاهر الجدة والإبداع في الآداب الغربية، وذلك تلبية لمتطلبات أحاسيسهم للتجديد في الشعر العربي، والخاصية التي ساعدتهم على ذلك هي إفادتهم من تجارب الشعراء الغرب ومدارسهم المختلفة في تطوير هذا الفن الأدبي، لأن أغلبهم من شعراء الحداثة والتغيير، ومعظمهم كانوا يتقنون اللغات الأجنبية، بها يكتبون ويترجمون، ومثال ذلك أدونيس الذي جعل البداية الحقيقية لشرارات التجديد الأدبي المعاصر في الثقافة العربية، كان ذا صلة وثيقة باللقاء مع الغرب والتأثر بمنهجهم، وهو ما صرحه بقوله:"ولّد اللقاء مع الغرب،على الصعيد الأدبي، موقفا نقديا يتمثل في أربعة مبادئ: المبدأ الأول يتصل بالموضوع أو المضمون،وخلاصته أن الحياة الجديدة التي يحياها الشاعر العربي ولدت مشكلات جديدة، ولهذا فإن عليه أن يعي هذه المشكلات ويشتق موضوعاته منها،ويترك من ثم الموضوعات التقليدية الموروثة, والمبدأ الثاني: يتصل بطريقة التعبير، فإذا كانت المشكلة تغيرت، فإن على الشاعر أن يغير طريقة تعبيره، فلا يمكن التعبير عن مضمون جديد «بشكل» قديم، فتغير «المضمون» يستدعي إذن تغير الشكل وبخاصة التحرر م ن القافية، والمبدأ الثالث: يتصل بتعريف الشعر،فتعريفه في الماضي كان تابعا لأغراضه وأشكاله، وبما أن هذه الأغراض والأشكال قد تغيرت، فإن تعريفه يجب أن يتغير، وينبثق المبدأ الرابع: عن المبادئ الثلاثة الأولى، وخلاصته أن علينا أن نغير النظرة إلى الشاعر،فلم يعد الشاعر من يكتب القصيدة تلو الأخرى،دون رؤيا للعالم أو موقف منه، بحيث يجيء شعره مجموعة من الانفعالات أو وصف الأحداث دون رابط رؤياوي وجمالي يربط فيما بينها، ويوحدها، بل الشاعر هو الذي يصدر عن رؤيا، أي من له رسالة كما يعبر جبران،ومن لا رسالة له ليس شاعرا"[8].

المنارة للاستشارات

هذا الانفتاح على الثقافة الغربية انعكس على روح القصيدة الشعرية العربية المعاصرة، وذلك بتجديد في شكلها ومضمونها، من حيث توظيف الرمز والأسطورة والقناع والآراء الفلسفية والمكونات الجمالية، وقد كان منتصف القرن الماضي فاتحة مظاهر هذه المؤثرات التي أثرت وهيمنت على الشعرية العربية المعاصرة، نذكر من بين النماذج الشعرية الأجنبية التي أثرت فيه، ما جاء على لسان الشاعر العراقي بدر شاكر السياب والذي أعلن منذ البداية أنه مولع بالشعر الانجليزي في نموذجيهما المشهورين: **توماس إليوت وإديت سيتول**، وهذان النموذجان قد تركا بصمة واضحة في شعر هذا الشاعر، ولعل هذا النموذج يعدّ من بين قلائل التأثيرات التي شهدتها الساحة النقدية العربية المعاصرة، والتي توضح بأن صلة الشاعر بدر شاكر السياب بالشاعر الإنجليزي إليوت قديمة جدا، وربما بدأت منذ أواسط الأربعينات أو أواخرها[9]، يقول صراحة عن نفسه في وصف ما درسه في بغداد خلال فترة دراسته وبخاصة سنة (1946-1948): "فدرست **شكسبير وملتون** والشعراء الفكتوريين ثم الرومنتيكيين، وفي سنتي الأخيرتين في دار المعلمين العالية تعرفت لأول مرة بالشاعر الانجليزي **جون كيتس** لا يقل عن إعجابي **بإليوت**"[10].

ونجد كذلك الشاعر أدونيس متأثرا بالشعر الفرنسي، كيف لا وهو الذي انتحل شعره من هذا الأدب، وقد وضح العديد من النقاد هذا الأثر، ومثال ذلك دراسة كاظم جهاد في كتابه: «أدونيس منتحلا»، والصادر عن دار إفريقيا الشرق بالمملكة المغرب في طبعته الأولى سنة 1991م، وهذه دلالة واضحة على قراءته للشعر الفرنسي ومدى تأثره به أيما تأثر، ويمكننا أن نختصر الكلام حوله فنقول: إن الرباعي الفرنسي **بودلير ورامبو وإيف بونفوا** و**سان جون بيرس** من الشعراء المؤثرين والمؤطرين في الوقت نفسه لمنجز النص

المنارة للاستشارات

الشعري الأدونيسي[11]، يقول محمد بنيس:"تختلف وضعية هجرة النص بين الشعراء المعاصرين، وبالتالي فهي تختلف بين السياب وأدونيس. فالسياب الذي صاحبت نصوص **إديت سيتول** نصوصه في مرحلة طويلة، ليس هو أدونيس الذي ارتبطت نصوص كل من **رامبو وسان جون بيرس وإيف بونفوا** بنصوصه حسب المراحل الشعرية التي اجتازتها تجربة أدونيس. وتخصيص علاقة السياب بالشاعرة الإنجليزية أو علاقة أدونيس بثلاثة شعراء فرنسيين لا يعني بتاتا أن نصوص شعراء عديدين، ومن لغات متباينة لم تهاجر إلى نصوص هذين الشاعرين، بل يرمي تعيين النصوص النواة الأولى"[12].

فبالرغم من اختلاف مشارب الثقافة الأجنبية لدى الشعراء العرب المعاصرين، وتنوع اجتهاداتهم في إتباع خطوات كتابة القصيدة الشعرية الغربية والتأثر بمناهج المستشرقين، إلا نقطة التشابه والاتفاق بينهم يمكن في تعريفهم للشعر الجديد، ولا نستبعد أن يكون أثر إليوت سببا مباشرا في المغايرة المفاهيمية الابستمولوجية للشعر."بل ربما كان تأثر الشعراء العرب الرواد بتقنيات إليوت الشعرية وأدواته وطريقة بنائه المركبة للقصيدة من أبعد مجالات المثاقفة أثرا في هذه العلاقة"[13].

إن هذه المؤثرات الغربية أكسبت القصيدة الشعرية العربية المعاصرة مفهوما جديدا ومنهجا مغايرا في نظم الشعر، وتجديدا في حركيته، وهو ما اصطلح عليه في عصرنا الحالي (الشعر الحر)، وعدّ الناقد محمد بنيس أن هذا المصطلح أصلا: دخيل عن الثقافة الشعرية العربية ولم تعهد به الساحة الأدبية العربية، وهو وافد من الثقافة الغربية، مخالفا بذلك المقولة التي روجت في الكثير من الدراسات الحديثة، وتنسب هذا المصطلح من إنتاج عربي

المنارة للاستشارات

جاء مع نازك الملائكة سنة 1947م، بقوله:"جميع هذه المصطلحات ذات مصدر غربي، فالشعر الحر ليس من ابتداع زكي أبو شادي أو ابتداع نازك الملائكة كما يوحي بذلك كلامها، بل هو ترجمة لمصطلح **فير ليبر** بالفرنسية وفري **فير** بالانجليزية، وقد ساد هذا المصطلح في الثقافة العربية منذ العشرينيات إلى جانب الشعر الحديث، ومنه فإن إعادة استعماله من طرف شعراء ونقاد الخمسينات جاء محملا بحيوية نظرية لم يكن يمتلكها من قبل، ولا وجود له بتاتا في المصطلح النقدي العربي القديم"[14].

وبهذا فالشاعر العربي تأثر بالمنجزات الشعرية الغربية إما نتيجة ترجمة لأعمالهم المنظومة أو انبهارا بمحتوى أشعارهم بسبب الإطلاع عليها، وهذا ما رزع فيهم بذرة حب معرفة الزيادة من إنتاجهم والاستفادة من تجاربهم، وبقي هذا النهج يجري في عروق أفكارهم مجرى الدم، فتأثروا بها أيما تأثر، وتركت بصمة في إنتاجهم الشعري، مثل ما نجده: مع سعدي يوسف الذي تأثر **بيانيس ريتسوس ووايت ويتمان وكفافيس**، وبدر شاكر السياب الذي تأثر **بستويل وإليوت**، وصلاح عبد الصبور الذي تأثر **بإليوت** أيضا، ويوسف الخال الذي تأثر **بإزراباوند وإليوت**، ونازك الملائكة التي تأثرت **بوليم بلايك...**، وغيرهم كثير.

وعليه نستنتج مما سبق أن الشعر العربي المعاصر قد انفتح على الحضارة والثقافة الجديدين وتأثر بالشعراء المستشرقين الأوروبيين وبمصطلحاتهم وأثر فيهم، وبالتالي فهذه سنة الحياة في التلاقح بين الأفكار والثقافات والتفاعل بين الفنون والآداب، وبالخصوص الشعر الذي يعدّ العصب الحساس في الأدب للتعبير عن الاحتياجات ومتطلبات النفس وكل ما

المنارة للاستشارات

يختلج صدر الإنسان من أحاسيس ومشاعر في قالب شعري جديد يخالف في صيغته القالب التراثي المعهود.

ثالثا: مسار ترجمة الشعر الحر إلى اللغات الأوربية:

معلوم أن الترجمة تعد نشاط سوسيو ثقافي إنساني لها تاريخها منذ القديم، فهي وسيلة مهمة في نقل جواهر العلم والمعرفة من لغة المصدر إلى لغة الهدف، بغية توصيل المفاهيم والأفكار من ثقافة إلى أخرى، فهي تسهم في زيادة التفاهم والتواصل والتعارف بين الشعوب والمجتمعات، وإن تترجم للآخر فهذا يعني أن ثمة إمكانا لفهمه، والفهم أساس التواصل، وكل تواصل مبني على اعتراف وإقرار بالآخر المختلف.

وإن اهتمام المستشرقين الأوربيين بالعرب والتواصل معهم لنقل آدابهم وفنونهم: النثرية منها والشعر بالخصوص، لدليل على فهم محتواه واعتراف تام بميزته الفريدة على غيره من فنون الآداب العالمية، ولذا فقد ترجموه إلى العديد من اللغات الأوروبية، بخاصة: (الفرنسية والانجليزية) تحديدا، وهذا الاهتمام حمّل المترجمين مسؤولية كبيرة لما يحملونه من أمانة علمية حتى تصل إلى القارئ الغربي في ترجمة وافية وبحلة بهية، إلا أن هذا العمل لم يلق رواجا كبيرا عندهم وأصبح شحيحا بينهم أو قل بطيئا في مسيرته، بسبب أنه عمل مرهق وصعب، والكل يخاف من هضم معنى الشعر العربي لرمزية اللغة، وفي هذا يقول الشاعر الإنجليزي بيرسي شيلي إن "ترجمة الشعر محاولة عقيمة تماما، مثل نقل زهرة بنفسج من تربة أنبتتها إلى زهرية"[15] غيرت طبيعتها، بينما يفتح جاكبسون نافذة للإمكان حين يقول: إن "الترجمة الوحيدة

المنارة للاستشارات

الممكنة هي النقل الإبداعي الخلاّق، أي إعادة كتابة القصيدة وإنتاجها من جديد"[16].

فالمترجمون الأوربيون وقعوا في مأزق نقل المعاني العربية، لأنها تتميز بكثرة الوصف والاعتماد على المترادفات والتكرار ، وهذا ما جعل قدراتهم محدودة في الترجمة، ولذا "لم يوفقوا رغم سعيهم في الحفاظ قدر الإمكان على أفكار الكاتب في نقل كل أطياف الأسلوب العربي وتموجاته المرتبطة بسمات اللغة العربية الإبداعية"[17]، وبالتالي انزاحوا عنه قليلا وهربوا إلى مجالات أخرى، لأنهم "كانوا ولا يزالون يوجهون جل اهتمامهم العلمي إلى غير الأدب من أوجه الحياة المعاصرة، ولهذا لم يترجم إلا عدد ضئيل من الأعمال الأدبية الحديثة"[18]، زيادة على ذلك أن هذه الأعمال المترجمة لم تلق تحفيزا من النقاد وذوي النخبة المثقفة عندهم، ولم تطبع أعمالهم بكثرة حتى تغطي متطلبات السوق تجاريا وتلبي مبتغي الساحة الثقافية، وبهذا لم يجد الشعر الحر المترجم "الإستجابة المشجعة لدى النقاد أو الأدباء غير العرب إلا في حالات نادرة"[19].

وبما أن الترجمة تعدّ فنا من فنون نقل المعارف والآداب إلى اللغات الأخرى، فقد أولاها المستشرقون باهتمام واسع _في حدود اجتهادهم_، وكان الشعر العربي المكتوب باللغات الأوربية يحظي عندهم بمكانة مميزة واهتماما بالغا لدى أغلبهم، نتيجة اللغة المكتوبة بالفن الأدبي والمساعدة عندهم على فهم محتواه، وأطلق عبد الله الركيبي على هؤلاء الكُتَّاب: (المرضي عنهم) ويقول عنهم "أما أولئك (المرضي عنهم) فهم الذين يعيشون عصرهم ويستحقون التكريم والتنويه بإنتاجهم، نلمس هذا في الضجة التي أثاروها حول ما كتبه الطاهر بن جلون الذي يصرح بأن الفرنسية هي التي تعبر عنه وعن إحساسه،

المنارة للاستشارات

فانهالت عليه الجوائز الأدبية، ومثل الجزائري "عبّه" الذي ذهب به حب الفرنسية والدفاع عنها إلى حد بعيد إذ رصد جائزة من ماله الخاص لمن يكتب عملا أدبيا متميزا بهذه اللغة"[20].

غير أننا نجد في مقابل هذا الاهتمام إهمال ظاهر للعيان بل حتى عداوة لمن انزاح في الكتابة عن لغته الأم والانتقال إلى لغة أخرى كالفرنسية أو الانجليزية، وبل يخالفهم حتى في أفكارهم وأساليبهم، مثل ما فعل مالك حداد، والذي نجد عبد الله ركيبي متحدثا عنه ومفصلا القول فيه: من أنه لا يكاد يذكر اسمه عندنا إلاّ نادرا، أما في الضفة الأخرى فلا يكاد يذكر اسمه إطلاقا لسبب معروف وهدف معين وهو دفاعه عن اللغة العربية ورفضه الكتابة بالفرنسية بعد الاستقلال، في حين أن غيره يشيدون به محليا وفرنسيا مثل: كاتب ياسين ومولود معمري وبن جلون... وغيرهم، ويبرهن ركيبي على ذلك بما كتبه رشيد بوجدرة بأن الفرنسيين يشجعون الكتابة الفرنسية؛ لأن هؤلاء يكتبون نصوصا سياسية تروق الفرنسيين وتروج أفكارهم، وبعضهم الآخر يكتب القصة بطريقة فنية جميلة تحمل أفكارا غربية وموجهة أساسا للاستهلاك الغربي[21].

هذه الأمور وغيرها توضح مدى تأثر الأدباء الغربيون بالأدب العربي المعاصر بعامة، والشعر بخاصة، ولا يخفى على الكل أن الآداب الغربية نقلت العديد من الأعمال العربية والإسلامية إلى لغات كثيرة بهدف التعريف به والاستفادة منه معنا ولفظا، وفي هذا يحدثنا إسماعيل أحمد عمايرة متسائلا: "وهل يحفى تأثر شاعر ألمانيا الكبير غوته بما قرأه من روائع الأدب الإسلامي عن طريق ما ترجمه معاصره **هامر بورجشتال** وسواه إلى الألمانية في القرن التاسع

المنارة للاستشارات

عشر؟ وقبله تأثر الشاعر المستشرق الألماني **فريدريش روكرت** ت1866م الذي نقل ديوان الحماسة شعرا إلى الألمانية، وترجم مقامات الحريري ترجمة أدبية رفيعة قال عنها **باريت:** يعتبر بحق عينة من الأدب الألماني الذي بلغ الكمال في شكله، ويعتبر إلى هذا عملا من أعمال الاستشراق، ومن الشعراء الإنجليز الذين تأثروا بالآداب الإسلامية الشاعران: **تشوستر ولدكيت** ... وقد أقبل المستشرقون الذين اهتموا بهذا الدافع على ترجمة عيون الأدب الإسلامي، وتفننوا في صوغه بلغاتهم، للعامة تارة، وللأطفال أخرى"[22]، بهدف التعريف بالآداب المشرقية والاستفادة من تجاربهم الفنية في جمال الأدب وبخاصة في براعة نظم الشعر وبلاغة أسلوبه وأثره في المتلقي.

ويعدّ الشعر الحر من بين الفنون الأدبية التي شغلت بال الفكر الاستشراقي الأوربي، وهو ما أشار إليه صالح طعمة في قوله:"لوحظ في السنوات الأخيرة إقبال متزايد على ترجمة ما نسميه بالشعر الحر بفضل الحضور أو الإسهام العربي في الغرب، فتعددت الأعمال المترجمة لأمثال أدونيس (علي أحمد سعيد)، وبدر شاكر السياب، وعبد الوهاب البياتي، ومحمود درويش، وصلاح عبد الصبور"[23]، وهذا عينه ما لاحظه المستشرق أحمد سمايلوفيتش منذ أكثر من خمس وعشرين سنة، بعدما ذكر عددا مميزا من الدراسات الاستشراقية حول الشعر العربي المعاصر واستنتج قائلا: وهذا "مما يدل على اهتمام الاستشراق البالغ بهذين الاتجاهين الرئيسين (الشعر المرسل والشعر الحر) في الشعر العربي المعاصر وتتبع الاستشراق المستمر له"[24].

ومن بين النماذج الاستشراقية التي ذكرها هذا المستشرق، وبيَّن فيها مدى اهتمام الباحثين الغرب بهذا النوع من الشعر الجديد ما ذكره

المنارة للاستشارات

المستشرق **س. موريسه** في كتابه: «حركات التجديد في موسيقى الشعر العربي الحديث» ، والذي اهتم بالأدب العربي الحديث وبخاصة بموسيقى الشعر العربي الجديد، بحيث تناول في بحثه: الشعر المرسل في الأدب العربي الحديث ومشكلاته، ثم الشعر الحر ومعضلاته، وقضية التجديد في الشعر العربي الحديث[25]، والتي عدّها "من أخطر القضايا التي أثارت حولها النقاش بين أصحاب مختلف النزاعات"[26]، وضرب في ذلك مثالا ما أثارته نازك الملائكة في كتابها «قضايا الشعر المعاصر» من حديثها عن الشعر الحر باعتباره حركة تجديدية انطلاقا من بداياته وظروفه والمزايا المضللة فيه ومستقبله، وأهم الجذور الاجتماعية لهذه الحركة، وصولا إلى الشعر الحر ومدى أثره في الجمهور وأهم قضاياه اللغوية[27]، ثم تحدث عن مؤَلف محمد مندور في كتابه: «الشعر العربي»، والذي وضح فيه أن الكاتب حاول في دراسته السابقة الذكر أن يجعل من الممكن كتابة الشعر على أوزان جديد، ثم انتقل إلى دراسة شكري محمد عياد في كتابه:«موسيقى الشعر العربي» الذي سعى فيه إلى "السير بقضية الشعر الجديد نحو مزيد من الموضوعية، بمقارنة الشعر الجديد من حيث نظامه العروضي وبناؤه الفني بالأصول المأثورة في ذلك، ثم بحركات التجديد التي سبقته في العصر الحديث، وربط ذلك كله بطبيعة العمل الشعري ومكان الوزن والقافية فيه ... حتى نصل إلى فهم أدق وأعمق لموسيقى الشعر العربي"[28].

واستنتج سمايلوفيتش من دراسة زميله المستشرق **س. موريسه** للشعر الحر مدى أهميتها البالغة في مواكبة الحركة التجديدية للشعر العربي المعاصر وقضاياه، وعدّها "بأنها دراسة حديثة تواكب مشكلات التجديد في الشعر العربي الحديث، وترصد أحداث ظواهرها وما تمخضت عنه من نتائج،

المنارة للاستشارات

كما تتميز بالإطالة والشمول والدقة، وبتحديد المصادر الأوربية التي أثرت في شعراء كل اتجاه، وهي بهذا تنم نقصا ملحوظا من الدراسات التي تناولت هذا الموضوع"[29].

وعلى كل، فإذا كانت المكتبة الأوروبية غنية إلى حد ما بالمصادر المتعلقة بالتراث العربي، والتي استلهمت تراث العرب قديما وحديثا، إلا أنها تبدوا في حقيقتها فقيرة وشحيحة المادة العلمية فيما يتعلق بالمصادر التي تتناول أدبنا المعاصر وبالخصوص الشعر العربي الحر، لأن ما ترجم منه بالعربية إلى اللغات الأوروبية قليل جدا بالمقارنة مع غيره من الفنون الأدبية المعاصرة، وإن أفضل الأماكن حضورا للشعر العربي الحر في أوروبا ما وجد في فرنسا، ويرجع الفضل في ذلك إلى دار نشر سندباد/ اكت سود التي ساعدت المترجمين على نقل هذا النوع من الشعر بمساعدة المستشرقين أنفسهم وترجمته إلى لغاتهم الأم، زيادة على ذلك تلك المحاولات الجادة التي أصدرها الشعراء، والذين كتبوا عن انطولوجيات للشعر العربي المعاصر باللغات الأوروبية.

رابعا: نماذج من الشعر الحر المترجم إلى اللغات الأوروبية:

1) شعر أدونيس في ميزان النقد:

يعدّ شعر أدونيس من بين النماذج الشعرية العربية المعاصرة ذات التيار لتجديدي، والتي اعتنى بها المستشرقين ترجمة إلى اللغات الأجنبية، واهتماما بشخصيته الذاتية وترجمة نفسه إلى اللغات الأوروبية، وبخاصة عندما قدموه في المحافل الدولية وترجموا شعره الذي يحمل مشروعه الحداثوي والتراثي، بل وحتى رشحوه لنيل جائزة نوبل للآداب، بعدما نالها

المنارة للاستشارات

نجيب محفوظ قبله، وهذا ما أحدث ثورة كلامية من الصحافة المعاصرة ووسائل الإعلام آنذاك، والتي تنتظر أن ينالها هذا الشاعر بأحر من الجمر، لأنه صار _عندهم_ يعدّ الشاعر العربي الأكثر شهرة، واسمه متداول في مختلف اللغات والبلدان الأجنبية، ومن أبرز المستشرقين الغربيين الذين رأوا أن هذا الشاعر جدير بأن يظفر بهذه الجائزة نذكر منهم _على سبيل المثال لا الحصر_ المستشرق **روجر آلان** Roger Allen فيما ذكره في مقالة له بعنوان: «الأدب العربي وجائزة نوبل»: ولعل أدونيس أدرك أن تأييد السلام والتطبيع مع إسرائيل سيأتي له بالجائزة فقد أعلن قبوله للتطبيع مع إسرائيل في المؤتمر الذي أقامته اليونسكو في غرناطة تحت عنوان (ما بعد السلام) وكان من جراء هذه الدعوة أن طرد من اتحاد الكتاب العرب[30].

غير أن هذا الأمر حمل دعاة الإسلام بالهجوم عليه والرد على أفكاره وشعره الملحد، فالباحث عوض بن محمد القرني يعدّه شاعر ملحد نصيري ترك هذه الديانة واعتنق الشيوعية، وتسمى باسم أحد أصنام الفينقيين (أدونيس)، ويقول عنه فيما يُقَدَّم في صفحاتنا على أنه من كبار الأدباء والشعراء:"لم نسمع ولم نقرأ حرفا واحدا يحذر من فكره وكفره، بل تنشر صوره وغليونه في فمه وتحته عبارات الإطراء والمدح ... نقرأ لأدونيس بعض أعماله فنشعر بنشوة ما بعدها نشوة، ونكاد نقول شكرا أدونيس، رسالتك وصلت"[31]، وبعدما تمعن في شعره وتذوق معنى ألفاظه لاذ عليه بالكفر والسخط لما يحتوي شعره من رموز الحداثة العربية وما فيها من إلحاد وكفر، فيقول:"هذا هو أستاذ عباقرة الحداثيين وأساتذة الأدب والثقافة في مجلاتنا، إلحاد في العقائد وإسفاف في الخلق ورذيلة في الفكر وشعره كله على هذه الوتيرة"[32]، ويوضح صحة ما يقول فيما ورد في كتابه: (مقدمة للشعر العربي) في

المنارة للاستشارات

الصفحة 131، والذي حاول فيه أن يثبت جذورا لفكره المنحل في شيء من التاريخ حينما يتحدث عن قيمة الشعر الجديد، مبينا صلتها بالفكر الصوفي القائل بوحدة الوجود[33].

ولم يتوقف الرد على أبناء جلدته من النقاد والأدباء العرب فقط، بل وحتى المستشرقين أنفسهم، ومثل ذلك ما ورد عن المستشرق أحمد سمايلوفيتش بقوله:"مهلا يا أودونيس، أنظر إلى التاريخ فهو الذي سيرد عليك نيابة عنا، أم أن عقلك قد تعود على التزييف كما هو شأن سادته الموجهين من أعداء العروبة والإسلام معا؟"[34]، ثم نجده يتعرض للرؤيا الدينية التي يقول عنها بأنها: رؤية غيبية حياتية في آن واحد، والتي ربط بها الظواهر الأدبية من أنه لا يمكن فهم الرؤيا الشعرية العربية في معزل عن هذه الرؤيا الدينية، وأن الظاهرة الشعرية جزء من الكل الحضاري، لا يفسرها الشعر ذاته بقدر ما يفسرها المبنى الديني لهذا الكل، فيعدّها رؤية استشراقية محضة وليدة من فكر غربي ملحد، فيقول:"أوليست هذه هي أفكار **كريمر وجيب وروزنتال** وغيرهم، طبعا إنها هي، ونحن لا نتهمه من أجل هذا الإثبات مطلقا، وإنما نستغرب لمحاربته هو وأصحابه هذا الكل البناء، ألم يستطع أن يرى أن الواقع التاريخي للعرب قد أكد لكل ذي عينين أنهم لم يكونوا قبل الإسلام مثلما أصبحوا بعد الإسلام، وأنهم لم يقدموا للإنسانية قيمة قبله، مثلما قدموا لها بعده، وأنهم لم يبنوا مستقبلهم على أساس أدونيس وموجهيه، وإنما سيبنوه على أساس القرآن وإسلامهم له، هذا هو ما أكده الواقع التاريخي للعرب قديما، وهذا هو ما يؤكده حديثا أيضا، ولا ندري لماذا يتألم أدونيس من أجل تمسك إخوانه العرب لتراثهم الإنساني البناء"[35].

المنارة للاستشارات

هذا الطبع والنهج حير النقاد والباحثين العرب واستنفروا من شعره ومن كثرة الاهتمام المبالغ فيه من الغرب، من حيث ترجمة شعره إلى اللغات الأوروبية والاهتمام به شخصيا، في حين أن البيئة العربية تحتاج إلى ترجمة شعره أكثر منهم حتى يفهمه العرب، وفي هذا يحدثنا جهاد فاضل قائلا:"فالحاجة ماسة أولا إلى ترجمة شعره إلى اللغة العربية قبل ترجمته إلى اللغات الأجنبية لاستعصائه حتى على النخبة المثقفة، كأنه يتقصد وهو يكتب شعره ألا يفهمه أحدا من القراء"[36]، ثم نجده يتعجب من كثرة الترجمات لشعره قائلا:"إذ لا ينقضي شهر من الشهور إلا ويصدر إعلان أو خبر في الصفحات الثقافية يحمل إلى القراء العرب بشرى ترجمة ديوانه هذا أو ذاك إلى اللغة الفلانية، كأن أدونيس يقول لهؤلاء إذا كنتم رفضتموني فقد قبلني العالم، انظروا إلى تهافت العالم على قراءة شعري"[37].

فالشاعر أدونيس كسب شهرة واسعة في الآداب الأجنبية إما متَرجَما أو مترجِما، وحضورا واسعا في مختلف البلدان الغربية، الأمر الذي ساعده على كسب سمعة أدبه بعامة وشعره التجديدي خصوصا، إلا أن أعماله في الشعر الحر المترجم "اختلطت فيه العبارات الشعرية بالكلشيات الفكرية، طالما كانت الترجمة إلى اللغات العالمية هاجس أدونيس الدائم ومحط أنظاره، والرأي عنده أنه في حالة الترجمة من العربية إلى اللغات الأجنبية، لابد أن تقدم هذه الترجمة إضافة إلى آفاق اللغات الأخرى بما يزيدها معرفة بالإبداع العربي"[38]، لأن رؤية أدونيس في هذه المحاولة لابد من أن تتوفر على شروط، منها أن "نحيد عن الترجمة التي تندرج في السياق السياسي أو الإعلامي أو الاجتماعي تلبية لرغبة الآخر في النظر إلى العرب لا نظرة الندبة الإبداعية، بل

المنارة للاستشارات

نظرة من يسعى للتشهير بهم أو إبقائهم سجناء النظرة الإمبريالية والتخلف والتبعية"[39].

وبالرغم مما قيل عن الشاعر أدونيس وشاعريته في بيئته الأصلية والأصيلة، إلا أن ذلك لم يمنع قصائده الشعرية الجديدة من أن تنتقل مترجمة بين مختلف اللغات الأوروبية، وما يزال "المترجمون الغربيون يقبلون على نقل مختارات من دواوين الشاعر الذي جمع بين اللحظة الشعرية واللحظة الفكرية، خصوصا في كتبه: «مفرد بصيغة الجمع» و«أغاني مهيار الدمشقي» وكتاب: «التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل»، الصادرة عن دار الآداب ببيروت لبنان سنة 1988، وكان الشاعر والناقد الإيطالي **جوزيف كونتي** مقدما كتاب «مئة قصيدة حب» والذي يستخلص النتيجة من أعمال أدونيس الشعرية، العربية منها والمترجمة، قائلا فيها: إن "الاهتمام الغربي والعالمي بشعر أودنيس هو موضع جدل دائم في الصفحات الثقافية العربية، فعدا عن علاقات أدونيس الدولية المعروفة، هناك من يتهم «الاستشراق» باختيار قصائد ويصف شعره بالغربي والتغريبي"[40].

2) شعر محمود درويش في الثقافة الأوربية:

اهتمت المراكز الاستشراقية بهذا الشاعر وعدّته من الأسماء الحداثية اللامعة في الحركة التجديدية للشعر العربي المعاصر، ففي المؤتمر الذي عقد في بودابست حول الأدب العربي، كان من بين المحاور محور: «تجديد لغة الشعر الحديث عن الارستقراطية اللغوية للشعر الرسمي الكلاسيكي»، وكان من بين المهتمين المستشرق **ساسون سوميخ** الذي يعمل أستاذ الأدب العربي ورئيس معهد اللغات بجامعة تل الأبيب، وأشار في محاضراته التي ألقاها

المنارة للاستشارات

في المؤتمر إلى أن الشعر قد أصبح منفتحا بسبب التأثيرات اللغوية الشعبية والعامية، وقدم من الأمثلة على ذلك: محمود درويش وصلاح عبد الصبور ومظفر النواب[41].

وإن هذا التصريح الذي أبداه المستشرق ساسون سوميخ تعدّ شهادة حيّة وواضحة في توظيف الشاعر محمود درويش للرموز النصرانية في شعره، غير أن هذا الفعل حزّ في نفسية الباحثين العرب وبالأخص الباحث عوض بن محمد القرني الذي رد على الشاعر محمود درويش عضو الحزب الشيوعي الفلسطيني ردا عنيفا، واعتبره واحد من بين الحمّالين لعلم حزب راكاح الشيوعي الإسرائيلي في مؤتمر في فينا، الذي يثبت من خلاله للعالم وحدة القوى التقدمية _كما يسمونها_ العربية والإسرائيلية، ويصف عمله في الشعر الحر بأنه داء عُضال، بعدما وصفته جريدة اليوم السعودية في عددها 4762 من أنه "واحد من أعظم الشعراء العرب، إذ لم يكن أعظمهم على الإطلاق، ولذلك ليس غريبا أن يمتد تأثيره إلى أغلب الشعراء العرب، وتكاد لا تخلو التجارب الأولية للشعراء العرب في جيلنا هذا من أثر لمحمود درويش"[42]، فيرد على هذا الأثر بقوله:"يقدّم الشيوعي الملحد لشبابنا على أنه أعظم الشعراء العرب قاطبة، دون أن ينبه على ما فيه من داء عضال"[43]، ثم يقول:"ولا نستغرب أن يصدر عن تلميذ الشيوعيين اليهود وربيب صحفهم وأستاذ الحداثين عندنا، لا نستغرب أن يصدر عنه مثل قوله: «نامي فعين الله نائمة عنا وأسراب الشحارير»، وهو لا يؤمن طبعا بوجود الله، لكنه يستهزئ ويسخر"[44] بأشعاره ويتلاعب بمحتوى ألفاظه.

المنارة للاستشارات

ولكن بالرغم مما قيل عن محمود درويش في البيئة العربية، إلا أن معظم الدراسات الأوروبية تضع هذا الشاعر من بين الأسماء اللامعة والقليلة في الشعر العربي المعاصر، وتعد أعماله الشعرية من أهم الأعمال التي حظيت باهتمام المترجمين والمستعربين، وبخاصة ما ترجم من أشعاره في القرن الماضي، ويعود سبب هذا الاهتمام إلى الإيديولوجية في شعره، والذي ارتبط بالقضية الفلسطينية والقوى اليسارية، زيادة على ذلك أنه كان يسافر كثيرا إلى المناطق الأوروبية للدعوة إلى القضية، وهذا ما تطلبه الأمر إلى ترجمة أشعاره لتقديمه هناك، إلى جانب حضوره في العديد من الندوات التي كان يحييها سنويا في الدول الأوروبية بفرنسا وإسبانيا وإنجلترا وألمانيا واليونان ويوغسلافيا...، وغيرها كثير من البلدان العالمية.

كل هذه الأمور ساعدت على ترجمة أعماله الشعرية إلى اللغات الأوروبية، يقول المستشرق الألماني **ستيفان فايدز**:"كانت أول مؤلفات محمود درويش المترجمة إلى ألمانيا قد تولت نشرها في وقت واحد تقريبا، دار نشر في ألمانيا الغربية وأخرى في ألمانيا الشرقية، ففي بادئ الأمر في عام 1978م صدر في برلين الغربية مؤلفه «يوميات الحزن العادي» بترجمة: فاروق بيضون، وأدت العوامل السياسية دورا مميزا في نشر هذا الكتاب، فدار النشر الألمانية الغربية كانت اشتراكية النزعة، وتكن العداء للكولونيالية والاستعمار وتتطلع لتعريف القراء الألمان بآداب العالم الثالث، وصدر في برلين الشرقية سنة 1979م ديوانه «عاشق من فلسطين»، وكان هذا الديوان بترجمة السيدة **يوهانا** وقرينها مصطفى هيكل"[45].

المنارة للاستشارات

ويختصر المستشرق الألماني **ستيفان فايدر** مدى الاهتمام الذي حظي به شعره في هذا الديوان المترجم باللغة الألمانية، والذي يعالج فيه القضية الفلسطينية، واستنتج قائلا:"عموما نجيز لأنفسنا القول بأن الاهتمام الذي حظي به محمود درويش في ألمانيا ما كان يكمن _في الوهلة الأولى_ في شخصه كشاعر، بل كان يكمن في مواقفه السياسية، ومع أن مثل هذه الحفاوة السياسية أمر لا ضير فيه طبعا، إلا أنها تنطوي بالرغم من ذلك على أمر سلبي: فعندما لا يحظ الموضوع السياسي بالأهمية المناسبة لدى القراء، فإن هؤلاء لن يعيروا اهتماما يذكر لهذا الأدب"[46].

أما في الأدب الفرنسي فإننا نجد شعر محمود درويش حضورا قويا، فقد كتب الفرنسي **بيير أسولين** في مدونته على الشبكة العنكبوتية مقالة بعنوان:«من أجل تحية محمود درويش» يقول في شعره المترجم إلى لغتهم:"في النهاية هذا هو شعر محمود درويش أحد أكبر شعراء اللغة العربية، كان يقرأ قصائده باللغة العربية في فرنسا أمام جمهور فرنسي، بحيث أن عددا كبيرا منهم لا يفهمون أي كلمة من لغته، استمعوا إليه لساعات مندهشين من هذه الموسيقى، مأسورين بما كانت تقوله بحميمية، كلماته التي كانوا يتلقونها بعمق في حين أنهم كانوا غرباء من حيث المبدأ، هذا هو السحر هو ما يسمى الشعر"[47] الحر الذي يبهر العقول، ويدهش النفوس باللغة المنطوقة والموسيقى التي تحدثها جرس الألفاظ.

وفي الأدب اليوغسلافي فإن المستشرق **رادا بوجوفيتش** ركز في نقله للشعر الحر الفلسطيني على الأغراض الشعرية الغالبة في هذا الشعر، وبخاصة شعر الغزل الذي وجده لا يحمل في طياته المشاعر الإنسانية الحميمة

المنارة للاستشارات

للكائن الحي المتمثل في الحب، بل تحول الشعر الفلسطيني _عنده_ إلى حب وطنهم فلسطين الأرض المقدسة، وعدّها المستشرق بأنها ظاهرة طبيعية وإيجابية، ولذلك فقد اطلع على العديد من الأعمال الشعرية عندهم، مثل شعر: إبراهيم طوقان وأبو سلمى ومريد البرغوثي، وترجم لأشعار آخرين، مثل: معين بسيسو، وسميح القاسم ومحمود درويش، غير أن شعر هذا الأخير لم يحظ بنصيب وافر من ترجمة شعره المعاصر _كسابقيه المعاصرين_ في الأدب اليوغسلافي، بسبب التكرار المخل الذي لا يتناسب مع لغة المستشرق، يقول عنه:" إن معظم الشعر الفلسطيني يطرح الحب المرتبط بالحرب، وهذا ما نراه في شعر محمود درويش وسميح القاسم الذي أعده أقرب وأشد في هذا الموضوع، حيث أن تعبيره وسرده الغنائي أقسى، وينبع ذلك باعتقادي من موقفه الصلب، أما موقف محمود درويش فرغم كونه شعرا سلسا ويحمل غنائية عالية، إلا أنني أجد فيه الكثير من التكرار، لذلك لم يترجم كثيرا إلى لغتنا، لأن التكرار غير مرغوب في أدبنا اليوغسلافي المعاصر، لكن ما يجد صدى كبير في بيئتنا هو شاعر آخر اسميه **مايا كوفسكي** فلسطين، وهو الشاعر الراحل معين بسيسو، حيث إن شعره يتنفس القوة والصمود، وأشعر بكلماته تتفجر من داخلها وتثير بركانا لا يخبو، إنما يستمر بنشر حممه باتجاه الكون، أما بالنسبة للحب فهو شيء موجود في حياة الإنسان وفي أصعب الأوقات لا يستطيع نسيان المعنى الوجداني في حياته، لذلك فمفهوم الحب موجود منذ الشعر العربي القديم، وكان يستعمل بمرادفات عديدة بلغت ست أو سبع كلمات، أما الشعر المعاصر فقد اتخذ من هذا المفهوم تعبيرا قويا للانتماء للأرض وللوطن وللإنسان معا وبشتى التراكيب اللغوية والمرادفات"[48].

المنارة للاستشارات

وبالتالي فقد كان للشاعر محمود درويش سمعة واسعة في الآداب الأوروبية باعتباره من الأسماء اللامعة التي سطع اسمها عالميا في الشعر الحر، وبخاصة الشعر الذي تكلم فيه عن القضية الفلسطينية، هذا الأمر الذي أكسبه شهرة دولية ومنزلة عالمية في الآداب الغربية، لأنه يُشهر بقضيته الوطنية للعالم، وكان لهذا الشعر تأثيرا بارزا في أوروبا بشهادة النقاد والأدباء الذين نقلوا أشعاره إلى لغاتهم الأجنبية.

وفي خاتمة هذه الدراسة نقول: إن الأعمال الشعرية العربية المعاصرة في مجال الشعر الحر التي نقلت إلى الآداب الأجنبية وبالأخص الأوروبية من طرف الشعراء المستشرقين ما هي إلا دلالة واضحة على مدى التأثر والاهتمام البالغ للباحثين الغربيين بولوعهم بالدراسات الشعرية العربية المعاصرة وشغفهم بمعرفة محتوى الشعر العربي الجديد بلغته الأم ومحاولة نقله إلى لغاتهم الأصلية حتى يستفيد منها مثقفيهم ويعرّفونهم على مكوناته وقضاياه، وقد وضح في ذلك المستشرق الإيطالي **إيزابيلا كاميرا دافليتو** بقوله:"ليس لي إلا أن أقول: إنه لا يكفي حساب عدد الترجمات للدلالة على وجود تبادل ثقافي حقيقي، فيما يجب أخذه في عين الاعتبار هو مدى التأثير الذي تركته الأعمال المترجمة في القارئ الأجنبي، لأننا في الثقافة ومعرفة أدب الآخرين يمكننا تنفيذ حوار حقيقي بين الثقافات، الأمر الذي نحن بحاجة إليه اليوم في عالمنا هذا"[49] حتى تستفيد منه كل الشعوب العالمية، وتعرفه على مثقفيها.

ولكن هذا لا يعني أن الشعر العربي الحر لم يتأثر بالآداب الأجنبية، بلى فقد أثر الشعراء المستشرقين في حركية الشعر العربي الجديد

المنارة للاستشارات

المعاصر، نتيجة الانفتاح على ثقافاتهم ونهلهم من تقنيات كتابة هذا النوع من الشعر، من حيث توظيف الرمز والأسطورة والقناع والآراء الفلسفية والمكونات الجمالية وغيرها، زيادة على ذلك ترجمة العديد من أعمالهم الشعرية، وهو ما كوّن لديهم عزيمة في حب الاطلاع على إنتاجاتهم فولّد لديهم أثرا مهما في نفسية كل شاعر، وهي بصمة سجلها التاريخ بتأثر الشاعر العربي بالشعراء المستشرقين، مثل ما تأثر بدر شاكر السياب **بستويل وإليوت**، وصلاح عبد الصبور **بإليوت** أيضا، ونازك الملائكة **ببوليم بلايك...**، وغيرهم كثير، وهذه الملاحظة تبين سنة الحياة في التلاقح الفكري والتبادل المعرفي والثقافي، الذي شعاره: مدى تأثر وحركية الشعر العربي الحر بشعراء الغربيين وأثرهم فيهم.

هوامش الدراسة:

[1] روم لاندو، الإسلام والغرب، ترجمة منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، دط، 1962م، ص293.294.

[2] إسماعيل أحمد عمايرة، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، دار حزين، عمان الأردن، ط2، 1992م، ص34.

[3] عاصم حمدان، دراسات مقارنة بين الأدبين العربي والغربي، نادي المدينة المنورة الأدبي، المدينة المنورة، دط، 1997م، ص39

[4] أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص514.

[5] مصباح، حوارات واشراقات في نصف قرن من السياسة والفكر والأدب والفن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، 2004، ص423.

[6] المرجع نفسه، ص423.424.

المنارة للاستشارات

[7] أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص585.

[8] أدونيس، الثابت والمتحول بحث في الاتباع والإبداع عند العرب،الجزء الثالث،صدمة الحداثة، منشورات دار العودة،بيروت لبنان، اط1978،1م، ص40-41

[9] ينظر، محمد شاهين، إليوت وأثره على عبدالصبور والسياب، منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت لبنان،ط1992،1م، ص65.

[10] ماهر شفيق فريد، أثر إليوت في الأدب العربي الحديث،مجلة فصول، مج1، ع4، يوليو 1981، ص173

[11] ينظر، محمد بنيس، الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها، الجزء الثالث،الشعر العربي المعاصر، منشورات دار توبقال للنشر،الدار البيضاء المغرب، ط1، 1991، ص206.

[12] محمد بنيس، الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها، الجزء الثالث،الشعر العربي المعاصر، منشورات دار توبقال للنشر،الدار البيضاء المغرب، ط1، 1991، ص206.

[13] محمد عواد، الأرض اليباب وأنشودة المطر معالم بارزة في طريق الحداثة، مجلة فصول،ج2، ،مج15،ع3، خريف 1996، ص131.

[14] محمد بنيس، الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها، الجزء الثالث،الشعر العربي المعاصر، ص20.

[15] مجموعة من الأساتذة، الشعر العربي في اللغات الأوروبية، مركز الملك عبد العزيز الثقافي العالمي، الرياض العربية السعودية، دط، دت، ص05

[16] المرجع نفسه، ص05.

[17] إيزابيلا كاميرا دافليتو، ما بعد الاستشراق تحديات الترجمة الأدبية، ضمن كتاب، الترجمة وإشكالات المثاقفة، تقديم وليد حمارنة منتدى العلاقات العربية والدولية، الرياض السعودية، ط1، 2016م، ص263.264.

[18] صالح جواد الطعمة، الشعر العربي الحديث مترجما، النادي الأدبي، الرياض السعودية، دط، 1981م، ص10

[19] المرجع نفسه، ص10

[20] عبد الله ركيبي، الفرانكفونية مشرقا ومغربا، دار الأمة، الجزائر، دط، 1993م، ص94.

المنارة للاستشارات

[21] المرجع نفسه، ص9291.

[22] إسماعيل أحمد عمايرة، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، دار حزين، عمان الأردن، ط2، 1992م، ص34.

[23] صالح جواد الطعمة، الشعر العربي الحديث مترجما، ص10.

[24] أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة مصر، 1998م، ص538.

[25] للتفصيل ينظر، موريه. س، حركات التجديد في موسيقى الشعر العربي الحديث، ترجمة سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة مصر، 1969.

[26] أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص537.

[27] ينظر، نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، منشورات مكتبة النهضة، ط3، 1967.

[28] مقدمة شكري محمد عياد، موسيقى الشعر العربي دراسة علمية، دار المعرفة، القاهرة مصر، دط، دت، ص05.06.

[29] أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص538.

[30] ينظر الشبكة العنكبوتية، د. مازن مطبقاني، الأدب العربي الحديث في الكتابات الاستشراقية المعاصرة

https،//www.adabislami.org/magazine/2017/11/3229/174

[31] عوض بن محمد القرني،الحداثة في ميزان الإسلام نظرات إسلامية في أدب الحداثة، تقديم عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار هجر، الجيزة السعودية، ط1، 1988م، ص98.

[32] عوض بن محمد القرني،الحداثة في ميزان الإسلام، ص100.

[33] المرجع نفسه، ص101.

[34] أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص633.

[35] المرجع نفسه، ص634.

[36] ينظر، جهاد فاضل، مقارنة بين نزار قباني وأدونيس، مجلة الرياض، العدد 10477، 1997م

المنارة للاستشارات

[37] ينظر، مازن بن صلاح المطبقاني، الاستشراق المعاصر في منظور الاسلام، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، ط1، 2000، ص144

[38] مجموعة من الأساتذة، الشعر العربي في اللغات الأوروبية، مركز الملك عبد العزيز الثقافي العالمي، الرياض العربية السعودية، دط، دت، ص31.

[39] المرجع نفسه، ص31.

[40] المرجع نفسه، ص33.

[41] ينظر، مازن بن صلاح المطبقاني، الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام، ص144.

[42] عوض بن محمد القرني،الحداثة في ميزان الإسلام، ص94.

[43] المرجع نفسه، ص94.

[44] المرجع نفسه، ص96.

[45] الشعر العربي في اللغات الأوروبية، ص27.

[46] المرجع نفسه، ص28.

[47] المرجع نفسه، ص28.

[48] منيرة مصباح، حوارات واشراقات في نصف قرن من السياسة والفكر والأدب والفن، ص 424.

[49] إيزابيلا كاميرا دافليتو، ما بعد الاستشراق تحديات الترجمة الأدبية، ضمن كتاب، الترجمة وإشكالات المثاقفة، تقديم وليد حمارنة منتدى العلاقات العربية والدولية، الرياض السعودية، ط1، 2016م، ص268.

المنارة للاستشارات